الجوال بديلاً عن الرجل في ثرثرة النساء!

عدد قليل من الناس أو صفر يتشرف بنعت "ثرثار"، غير أنه من الناحية الفعلية بين كل خمسة منا "ثرثار". قطعاً ليس هذا دراسة علمية أو إحصاء موثق بالقدر الذي هو انسجام مع التعريف الذي يرى أن "أي كلام غير نافع يعدّ ثرثرة".

لكن أصل المفردة التى أضحت في الثقافة العربية رديفة الأنثى والمتملقين من الشعراء، بات لها في عالم اليوم أكثر من فائدة، ومجال استخدام من جانب المرأة والرجل على حد سواء.

على أن النساء خصوصاً لا يرضين بوصفهن منتجات للثرثرة أكثر من الرجال، فالاختصاصية في علم النفس والأعصاب الدكتورة سعاد يماني تجزم أن "استهلاك الكلام بالكثرة الذي نعبر عنه نحن العرب بـ "الثرثرة" ليس حكراً على الأنثى دون الرجل، فهو سلوك من دواعي الفراغ، وربما لكون نصيب المرأة الشرقية من هذا الأخير أحيانا كثيرة، أصبح البعض يربطه بالنساء".

غير أن يماني التي تترأس "مجموعة دعم فرط الحركة وتشتت الانتباه"، لا ترى الثرثرة عرضا يصنف ضمن فرط الحركة لدى

الأطفال "إلا إذا تجاوزت الحدود الطبيعة"، وفي هذه الحالة "يمكن علاجها كسائر أعراض فرط الحركة، التي يعاني منها الأطفال في المراحل الأولى من نموهم قبل المراهقة".

الثرثرة لغة وطباً

والثرثرة التي يعرفها اللغويون كما في الصحاح بأنها "كثرة الكلام، يقال رجل ثرثار ومهذار"، على الرغم من الموقف الشرعي منها في قول النبي ﷺ: "**أبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون المتفيهقون**"، وقوله: "**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت**"، إلا أن هذه الخصلة تجاوزت كونها استهلاكاً للوقت إلى وسيلة علاجية، وطريقة جديدة مبتكرة لترويج السلع.

ففي مركز البحوث الاجتماعية البريطاني بأكسفورد قام الخبراء بدراسة جديدة أظهرت أن الثرثرة المحدودة مفيدة، فهي تطيل العمر وتغذي الروح وتساعد على التقارب مع الآخرين.

الخبراء وجدوا أن الأشخاص الذين يمارسون هواية الثرثرة دون أن يشعروا بالذنب يملكون علاقات اجتماعية كبيرة وغالبا ما يعيشون نمط حياة صحياً لأن حديثهم عن الآخرين يحرر مشاعرهم وأحاسيسهم ويقلل من التوتر والكبت والغيظ الذي يسبب الأمراض.

وأظهرت دراستهم التي نشرتها صحيفة "النهار" اللبنانية، أن "الثرثارين نادرا ما يتعرضون لأمراض القلب والاضطرابات

العصبية واليأس والكآبة لأن الثرثرة تشجع على مشاركة الأحاسيس وما يدور في الذهن والوجدان فتقرب من الآخرين وتشعر الإنسان بالراحة".

وتأتي دراسة كهذه في وقت أشارت فيه دراسات سابقة إلى أن "حياة الإنسان يمكن أن تصبح أكثر سعادة وأطول إذا كانت مرحة وبعيدة عن المنغصات النفسية والأمراض، كما بين بحث على دراسة دامت خمس عشرة سنة حول الهرم وداء الزهايمر أن السعادة تطيل العمر، ويقول الباحثون في هذه الدراسة إن الأفكار السعيدة والمشاعر الإيجابية في مرحلة مبكرة من الحياة قد تساعد على الوقاية من الأمراض وقد تطيل العمر أيضاً".

الثرثرة مؤشر للسعادة والكآبة جميعاً!

ومع أن البحث الأخير لم يشر إلى "الثرثرة" بوصفها مؤشراً للسعادة أو الكآبة، إلا أنها من المنظور الاجتماعي يمكن أن تصبح مؤشراً للاثنين، حسب الحالة.

وهذا ما دفع أستاذ علم الاجتماع في جامعة الملك سعود الدكتورة آمال عبد الرحيم، وهي تتحدث مع "الحياة" إلى الجزم بأن "النظرة الاجتماعية إلى الثرثرة بغض النظر عما إذا كانت ذميمة أو حميدة مرتبطة بـ "الثرثار"، والظروف التي يمر بها والمحيط الذي هو فيه، فمثلا نرى البعض يمتهنون الثرثرة في المجالس والمنتديات العامة رغبة في الحضور والوجود الاجتماعي

بغض النظر عن الآراء التي يدلي بها أو الأحاديث التي يخوض فيها".

وأجزاء من هذه الشريحة تقوم بذلك في ظن آمال أحياناً "للتعويض عن نقص داخلي مسيطر، أو لفراغ يسبق حضورها المنتدى أو المجلس، فظاهرة الفراغ على سبيل المثال بين السيدات هي ما يدفعهن إلى أحاديث غير مبررة خالية من أي معنى أو عديمة الفائدة في اللقاءات بين صنوف من النساء قديماً وحديثاً".

أما موضوعات الثرثرة المعتادة اجتماعياً، فهي أيضاً في نظر آمال عبد الرحيم مذاهب وألوان، "تتأثر بالأعمار والاهتمامات، فربات البيوت -مثلاً- يجلسن ساعات طويلة لا يتحدثن إلا عن الطفل العنيد والزوج الكريه أو الحبيب وابنة فلان الجميلة أو القبيحة، بينما تشاركهن النساء العاملات في هذا الجزء من حديثهن إضافة إلى مشكلات عملهن وطموحاتهن في المستقبل".

وهل صحيح أن الرجل هو صاحب الحضور الأبرز في ثرثرة النساء؟ لا تنكر ذلك آمال إلا أنها ترى "الأسهم السعودية في الآونة الأخيرة اكتسحت ثرثرة النساء وأضحى الرجل يأتي تابعاً، بعد أن كان الذي يحتل صدارة ثرثرات النساء غالباً".

بأي شيء يثرثر الشباب من الجنسين؟

ويلتقي الشبان والفتيات الثرثارون عند اهتمامات متقاربة يستحوذ عليها "الحديث عن الجنس الآخر". فالشاب محمد

(٢١عاماً) لا تذهب ثرثرته مع أصدقائه بعيداً عن "فتاة أحلامه، ومغامراته العاطفية، والاتصالات، والشات، وأيام الامتحانات الجامعية، وربما الأسهم إذا كان أحد الطرفين مسهماً في السوق المالية، غير التكنولوجيا بوجه عام تحتل أكثر الوقت".

أما سلوى الخزرج فإنها لا ترى ثرثرة ابنتها مع صديقاتها تخرج كثيراً عما أشار إليه الشاب محمد، إذ تقول لـ "الحياة": أستمع إلى الحديث والثرثرة التي تدور بين ابنتي وزميلاتها فأسمع هموم المدرسة، والتعامل مع المعلمات، وكيف يحصلن على الإعجاب من جانب النساء والذكور، وكيف يحظين باهتمام المجتمع وبأزواج يخطبونهن، إضافة إلى الأزياء والموضة".

الثرثرة ليست دواء!

وفي جانب علم النفس تنفي الاختصاصية النفسية الأميرة مها آل سعود في اتصال هاتفي مع "الحياة" أن تكون الثرثرة مصنفة ضمن العلاج السلوكي والنفسي الذي ينصح به أطباء علم النفس، على حد علمها.

ومع جزمها بأن "الثرثرة لا يمكن أن تكون علاجاً" إلا أنها أقرت بأن "أطباء النفس يعتبرون (التفريغ) - الذي ترفض أن يسمى ثرثرة - أحد أنماط العلاج النفسي وإن لم يكن علاجاً قائماً بذاته".

وأشارت إلى أن طبيب النفس تختلف نظرته إلى الثرثرة داخل العيادة وخارجها، "ففي العيادة ينظر إلى الشخص الذي يثرثر أو

يتحدث أمامه بإنصات واهتمام، لاعتبارات مهنية أهمها أن الشخص يأتي إلى العيادة النفسية ويقول كل ما في نفسه ويؤمن تماماً أن سره أو حديثه في مكان آمن فينفس عما بداخله، أما خارج العيادة فإن نظرة طبيب النفس إلى الثرثرة تختلف حسب نوع "الثرثرة" والموضوعات التي تتناولها".